

هذه هي افئذجات من سجع العماد ولعل في ذلك فائدة لمن يجب هذه الطريقة ولكنها صعبة لا تتج في هذا العصر الذي أصبح فيه المعاني قبل المباني.

احمد فتحي باشا زغلول

رزئت مصر بل البلاد العربية برجل نافع في فضتها العلمية والاجتماعية والفضائية ونعني به المرحوم احمد فتحي باشا زغلول من رجال القضاء في مصر رفعه عمله إلى المناصب العالية وكتب له عمله درجة سامية بين العلماء بما ألف وعرب توفاه الله عن نحو خمسين عاما في القاهرة وكان من الرجال العاملين الذين يصرفون فضل أوقاتهم في التعريب والتأليف وجميع ما عربه وألفه من الكتب الاجتماعية والحقوقية يدل بعد غوره وانه لا ينشر للناس إلا المفيد فأول كتبه التي نشرها كتاب أصول الشرائع لبنتام الانكليزي عربيه عن بالفرنسية في مجلدين لطيفين ثم عرب كتاب خواطر وسوا نح في الإسلام للكونت هنري دي كاستري ثم كتاب سر تقدم الانكليز السكسونيين لادمون ديمولان وهذا اشتهر كثيرا واثروا في نفوس كل من طالعه وترجم أيضا كتاب روح الاجتماع للفيلسوف كوستاف لوبون صاحب كتاب حضارة العرب وكتاب سر تطور الأمم لذاك الفيلسوف أيضا وألف من الكتب كتاب المحاماة وكتاب شرح القانون المدني.

احتفل رجال العلم والقضاء والحكومة في مصر في أوائل شهر حزيران من السنة الفائتة في مقر الجامعة المصرية بالعالم فتحي باشا على اثر نشره كتاب شرح القانون المدني فنليت خطب كثيرة في إعماله وقدمت له نسخة مجلدة تجليدا مذهبا من كل كتاب ألفه ورسالة شكر وقع عليها المختفرون. وفي التاسع من أيار هذه السنة احتفل طائفة من رجال العاصمة المصرية يوم الأربعاء من وفاته بتأبينه وتعداد بيض أباد به علي العلم والقضاء وذلك في الأوبرا الخديوية بحضور جمهور كبير من العلماء

والفضلاء والشعراء والوزراء والوجهاء فتقدم حسين رشدي باشا رئيس النظار ورئيس لجنة الاحتفال إلى مكان الخطابة وتلا خطبة ثم قام بعده عبد الخالق باشا ثروت ناظر الحقانية والقي خطبة رنانة ثم تلاهما الشيخ محمد الحضري وكيل مدرسة القضاء الشرعي والقي خطبة بليغة عن بعض ما يعرف عن الفقيه من النبوغ فيما اشغل معه فيه من الأمور الشرعية ثم تلاه محمود بك أبو النصر الحامي نائبا عن الحمامة فصور للناس احمد فتحي زغلول باشا وحيد زمانه في الخطابة والكتابة والتأليف والتعريب وفضائل النفس وسمو الأخلاق ثم تلاه حسن بك عبد الرزاق الحامي نائبا عن الجمعية الخيرية الإسلامية فمثله في بره بالفقراء وعطفه على المعوزين ثم قام على أثره احمد بك لطفي السيد مدير الجريدة نائبا عن الصحافة والأدب فأثنى على تاريخ الفقيه وسر نبوغه وإغراضه الكامنة في صدره منذ نعومة إظفاره في المبادئ السياسية والاجتماعية والتشريعية.

وبعد إن أتم الخطباء خطبهم تقدم محمود بك نبيه المصري والقي مرثيه وتلاه الشيخ عبد الوهاب النجار المدرس بمدرسة البوليس قارئا لقصيدة الشيخ عبد المحسن الكاظمي شاعر العراق التي أجمل فيها العزاء لكل مصاب بهذا الفقيه سواء في مصر أو غيرها.

ثم تلاه الشيخ عبد المطلب المدرس بمدرسة القضاء الشرعي فاسترق النفوس بما أودعه في قصيدته من الحقائق عن الفقيه العزيز ثم قام بعده خليل أفندي مطران فالقي قصيدة بليغة. وبعد ذلك هم سعد زغلول باشا شقيق الفقيه ومن كبار رجال مصر إلى مكان الخطباء ليقدم بالأصالة عن نفسه وبالنيابة عن عائلته الحزينة شكره للأمة المصرية على ماجبرت من خاطرهم فخائته قواه وارتج عليه باب القول ففاضت عبراته وقال كلمة متقطعة في ذلك.

فما قاله رئيس النظار وهو من نبغاء مصر في العلم والقضاء أيضا: فان كنتم قد اجتمعتم اليوم مدفوعين بما عليكم الوجدان بتمجيد ذكره وتعداد مناقبه ومآثره فإنما انتم تدلون بعلمكم هذا على ما كان للفقيه من المكانة الرفيعة في نفوسكم وعلى انكم تعرفون أقدار الرجال.

اشتغلت أنا والفقيه في نظارة الحقانية زمانا طويلا كان فيه ساعدي اليمين، وكان لي نعم المعين. واليتي كنت افتتح اليوم هذه الحفلة لا لتأبينه بل لتكريمه حيا ومستمرا على تادية خدمة الجليلة لوطنه فانه والحق يقال كان من اكبر مظاهر الرقي العقلي في وادي النيل.

وقال ناظر الحقانية وهو من رجال العلم والقضاء أيضا:

إلا كل شيء ما خلا الله باطل ... وكل نعيم لا محالة زائل

باطل هذه الدنيا بما فيها واكبر باطل فيها الحياة كالبرق خلاب بشدة السنا فإذا الظلام في عقبه أو ادني. وقلما يفكر الأحياء في هذه الحقائق الرواجعة أو يتدبرها إلا إذا مضى رجل منهم كبير بعمله كبير بآثاره.

لمثل ذلك اجتمع هذا الجمع. اجتمع بذكر رجلا كبيرا قضى نجه لا حتف انفه ولكن في جهاد عظيم وقتال كبير وليس لعمرى دمه إلا ذلك المداد الغزير الذي أجراه سيف القلم على صفحات المصنفات التي أفاء الله بما عليه من المعرب والمنشأ أريد المرحوم احمد فححي زغلول. ليس أدل على إن هذا الرجل نابغة من اعتراف فضلاء الأمة له بالفضل ولا تزال وأصواتهم ترن في أذاننا لقرب عهدنا باجتماعهم تكريما له وإجلالا لإعماله.

احتفلوا بالأمس بفضله واجتمعنا اليوم لتأبينه لا غرابة فالعواصف لا تصيب إلا الأشجار الباسقة والصواعق لا تنقض إلا على ما تسامى فوق الناس إلى السماء :

والموت نقاد على كفه ... جوامر يختار منها الحسان

توفي المرحوم فتحي باشا ولو إن للهمة شفاعه أو لو إن العزيمة تقبل عدلا لكان أول الخالدين ولكن هذا أمر الله ولا راد لما قضى.

لو أردت إن أو في الرجل حقه من الوصف لما وسعني وقت ولما استغنيت بقلمتي ولساني وحسبه رحمه الله السنة الخلق وأقلام الحق فقد وضعه الموضع الذي هو به جدير.

لقد كان في كل ميدان فرس رهان - كان كما يقولون رجلا جامعا رجلا عموميا نبغ في المعقول والمنقول معا ومعه الأدب الجم ترينه البلاغة ويزنه النطق الصحيح إلى العلم الغزير تثبته الحكمة وتزيد قوة العارضة إلى صفات نادرة في تصريف الأمور. كان كاتباً يرقص الأرواح بكتابه طربا وخطيباً لو قام بين وحوش علم الضاريات بر النقاد. كانت له باع طولي وذوق سليم في كل شيء يجمع إلى هذا كله شغفا غريباً بحسن التيق والتنظيم :

وليس على الله بمستكر ... إن يجمع العالم في واحد

ليس من قصدي إن أشرح حياة الرجل كلها فهذا ما ليس لي فيه مطمع وإنما أردت إن أذكر ما يحتمله المقام من ذلك. أردت إن يعرض قومه جنوده التي جاهد بها وعدد التي اعتد بها - كما تعرض الجيوش في لحظة ليعرفوا. لم؟ لأن لقوته صلب العضلات واستقامت لعزمته قناة المشكلات. . .

وبعد إن أجمل حياته القضائية حتى أصبح وكيلاً لنظارة الحفانية وكانت هذه آخر عهد له بالوظائف قال: لست أبالغ إذا قلت إن جهاده في عام من أعوامها يقصر دونه جهاد رجال في أعوام. لم يقصر همته على أعمالها الكثيرة العظيمة بل كنت تجده عاملاً في كل شأن من الشؤون العامة.

له في نظارة الحقانية فضل المشاركة والمعاونة في وضع كل القوانين التي وضعت في عهده وهي كثيرة وفي الدرجة الأولى من المكانة واليه وحده يرجع الفضل كله في وضع قوانين المحاكم الشرعية التي يدعم عليها نظامها الحالي ولولا همته التي لا يعترىها الإكلال لما كانت الآن تلك المحاكم إلا كما كانت عليه قبل نظامها الحالي وكذلك كانت له الهد البيضاء والفضل الأول في النظام الحالي للمعاهد الدينية فان الجناب العالي لما توجهت أنظاره الكريمة إلى إصلاح تلك المعاهد عهد في وضع نظام جديد لها إلى لجنة الفت تحت رئاسة الفقيه ومعه زميلي صدقي باشا ناظر الزراعة ومنى واني لأودي ديننا علي وعلى زميلي باعترافي الآن على هذا الملبأ بان فتحي باشا رحمه الله هو وحده صاحب الفضل في كل ما وضع من النظامان الجارية عليها الآن هذه المعاهد لم تنته تلك الأعمال الكثيرة والمشاكل الجمة وقد أضنت جسمه وأضعفت قوته عما عود عليه أمته من خلمتها بالتأليف والتعريب وكان عهدهما نفث هذا القلم القادر البليغ هذا المصنف الجليل الذي وضعه في شرح القانون المدني. حياة كلها جهاد وعمل لم يؤت فيها عقله وجسمه قسطهما من الراحة مدفوعا إلى ذلك بعوامل فطرته مغالبا نواميس الطبيعة.

وخطب احمد لطفي بك السيد قال: إن شدة الذكاء وقوة النفس وحسن الإخلاص تلك الصفات التي ظهرت أثارها على فتحي باشا منذ شبابه الغض راجع معظمها إلى التأثير الوراثي من أبوايه وعلى الأخص والدته التي أفاضت عليه من صفاتها بما يفيض الأصل على الفرع وبما تعهلت أمره في التربية الأولى وما غرست فيه من المبادئ الصالحة مما جعل لفتحي شخصية متميزة منذ صباه.

لا يأخذكم العجب من قولي فان من أمهاتنا نحن القرويون من هن مع بساطة في المدارك العقلية وبعد عن المغلوب والمعارف على جانب عظيم من الذكاء القطري

ورفعة الأخلاق وعزة النفس وذوق الرفيع في الحكم وطية وتقوى في المعاملات  
 ينقلن هذه الصفات لأبنائهن بحكم القانون الانتقال الوراثي فتكون لهم رأس مال في  
 الحياة العملية ولولا هذه الصفات لهلك القرويون غير المعلمين بما هم فيه من جهل  
 عميق وما عانوا من استبداد طويل ولكن هذه الصفات الأولية قد قامت في مجاهم  
 مقام المعارف زمننا طويلا ولا يزال الاتكال عليها وحدها يؤدي إلى الآن نتائجه  
 المعارف في بلادنا فإذا جاءت العلوم والمعارف على هذه الصفات الأولية ظهر  
 النبوغ قلة وكثرة تبعاً لقوة الاستعداد أي لقوة تلك الصفات الوراثية فللأمهات  
 القرويات إن يقبلن أيضاً شكر الجيل الحاضر علينا إن نعرف علنا ومن غير تردد بما  
 للأمهات من المكانة العظمى من حيث توريث البنين والقيام على تربيتهم الأولى  
 وأماننا المثل الحسي أن والده فتحى باشا ينسب إليها الفضل الأكبر في أن أخرجت  
 لمصر نابغين فرجوا له العمر الطويل ونابغة فقدناه إسفين فقدناه ونقدم اليوم للتاريخ  
 منه صورة هي أقوم صور نوابغنا حجة لحسن الاستعداد وعلو الكفاءة العلمية  
 والعملية جميعاً.

قال: أن فتحى باشا كان رجل ارتقاء لا رجل ثورة - أنه كان يكره الثورة - بعد  
 سن الرجولة بالضرورة يكرهها بكل مظاهرها حتى الفكرية منها فكما انه كان يرى  
 إن الخير القوانين ليس هو القانون الحسن في ذاته ولكنه القانون الذي يحتمل الشعب  
 تطبيقه كذلك كان يرى إن خير المبادئ الاجتماعية والسياسية هو ما كان بينه وبين  
 طبائع الشعب وعاداته نسب تكمل ما فيها من اعوجاج. ويكتب يتالا يكاد يفارقه  
 حتى يناديه الصبح من كتب لا ملل ولا سأم، تلك لذته ربما غرامه لا يزيد عذ  
 العاذلين فيها إلا ولوعاً وربما أدرك سماره الإكلال وتشامت عليهم وجوه الكلام  
 وهو حديد الذهن كبير النفس ماضي العزيمة. ولم يكن سميره ولا عمله إلا فيما يرضى

ضميره من كتاب يؤلف أو يترجم أو عمل صالح يقدم للجمهور من أمته. وقد ظهر لنا علو كعبه في حب الخير بما قام به في شأن الأزهر المعمور تلك المدرسة العظيمة التي بصلاحتها يصلح عالم كبير من هذه الأمة إلى أن قال: ثم وضع بعد ذلك مشروع القانون الأخير ونماذج التعليم في العلوم المختلفة وقد كان عند وضعه واسع الأمل يريد للأزهر أن يكون فوق هامة المدارس وأن تكون مصر به فوق هامة البلاد الإسلامية كافة كما كان لها ذلك فيما مضى من الأزمان. وقد حاز هذا التقرير قبولاً لدى الجناب العالي الخديوي فصدر أمره الكريم أن يجري العمل به. ألفت مجلس الأزهر الأعلى من ستة تعيينهم وظائفهم ومن ثلاثة اختيروا الصلاح. أمر التعليم ومارس تشريع القوانين وتنفيذها وكان الفقيه أحد هؤلاء الثلاثة فسار في أمره سريرة رجل ينشد الإصلاح ويبحث عليه فكنا نراه مهتماً بإنفاذ هذا القانون باذلاً جهده في علو شأن الأزهر والأزهريين كما ينزل الرجل جهده في تثقيف ولده وتقويم أوده يجب العامل ويثني عليه ويكره الكسول وينفر منه، يسوس النافر ويسجلب الشارد حتى لان له الأبى ورضي عنه الناس بعد أن علموا إخلاصه وتفانيه فيما يصلح شأنهم ويرقي جامعتهم. وقد سار الأزهر بتلك المهمة الشماء شوطاً بعيداً في طريق السداد والصلاح. وكما يتوجب الوفاء علينا أن نذكر لفقيدنا هذا الأثر الخالد نذكر له موافقه في إصلاح المحاكم الشرعية فما من قانون أو لائحة وضعت لنظام هذه المحاكم وانتشأها من وهدمها إلا كانت له اليد الطولي في وضعها وإنفاذها، كان ينظر نظراً دقيقاً إلى ما هذه المحاكم من التأثير في حال الأسر المصرية الإسلامية والوصول بها إلى شيء مما تطلبه لها من النظام والاستناد على دعامة متينة وكان يرى والحق ما يرى أن الأمة لا يتم تكونها ولا ترتقي جماعتها إلا إذا اطمأنت الأسرة وأمن القرينان اللذان هما عمادها خطر الظلم وامتداد الآجال عند التقاضي إذا لم يكن منه بد فأصل هذا

في نفسه فكان يرى صلاح هذه المحاكم من أول واجبات المفكرين والعاملين  
المخلصين فكان ينتهز الفرصة السانحة لإدخال كل نظام يسهل على المتقاضين  
حاجتهم وقد نجح في كثير مما أراد نجاحاً عظيماً وإن لم يكن كل ما أراد، وكانت  
الرابطة متينة في نفسه بين العاملين إصلاح المعاهد الدينية وإصلاح المحاكم الشرعية  
لذلك كان مجهوده العظيم مبدولاً نحو الإصلاحيين على السواء.

تسمية أبطال العرب

وقاتليهم في الإسلام

(١) الطبقة الأولى الذين أدركوا الجاهلية والإسلام

همزة بن عبد المطلب - أسد الله قتل في غزوة أحد رماه وحشي مولى جبير بن مطعم  
بجرية نذر النبي صلى الله عليه وسلم أن يقتل به سبعين رجلاً من قريش وكبر عليه  
في الصلاة سبعين تكبيرة. أمير المؤمنين علي عليه السلام - قتله عبد الرحمن بن  
ملجم الأيادي وهو في صلاة الصبح وقيل كان داخلاً إلى المسجد بالكوفة. الزبير بن  
العوام - حوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم قتله عمر بن جرهموز. خالد بن  
الوليد - هو صاحب أهل الروم وخالد الذي فتح دمشق وأكثر بلاد الشام وله  
واقعة عظيمة في الروم ووقعة مسيلمة ولم يلق المسلمون مثلها وقتل مسيلمة. مات  
خالد على فراشه وكان يقول لقد شهدت كذا وكذا - قولهم كذا وكذا من تعبير  
المؤرخين - وما في جسدي موضع شبر إلا وفيه طعنة أو ضربة أو رمية وها أنا  
أموت على فراشي فلا نامت أعين الجبناء ويروى أن وجد بجسده ثمانون ما بين ضربة  
وطعنة فأما السهام فلم تكن تحصى وهو صاحب وقعة اليرموك في ثلاثمائة ألف.  
عمرو بن معدي كرب - فارس من فرسان الجاهلية ثم ارتد ثم عاد إلى الإسلام شهد  
حروب الفرس وكان له فيها أثر وعمر حتى ضعف وارتعش وهو أشهر الفرسان